

أثر ظاهرة الإبدال بين لهجة وادي سوف واللهجات العربية القديمة.

أ/ مباركة عماري جامعة الوادي

ملخص:

إنّ اللّهجات العربية الحديثة ومنها الجزائرية هي عبارة عن فروع متشعبة عن لغة الأصل والمتمثلة في اللغة العربية، إلا أنّها تحمل في طياتها اختلافات لهجية تجعلها تختلف من لهجة إلى أخرى، ويظهر ذلك في بعض مستوياتها، لذا تهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف بعض التغيرات الصوتية التي تصيب ألفاظ لهجة وادي سوف، وذلك نتيجة لتفاعل الأصوات مع بعضها بعض، حيث يظهر على هذه الأصوات سمات وخصائص وهي داخل التركيب قد لا تظهر وهي في حالتها الإفرادية، وتمثلت هذه التغيرات في عدة ظواهر، ولكننا ركزنا على ظاهرة واحدة تمثلت في الإبدال سواء في الصوامت أم في الصوائت، وانطلاقاً مما سبق انتهجنا المنهج الوصفي الملائم لطبيعة هذا الموضوع، محاولين تتبع ذلك في بعض اللهجات العربية القديمة لمعرفة مدى الأثر الذي تركته تلك اللهجات القديمة في لهجة المنطقة اليوم، على اعتبارها أقرب اللهجات الجزائرية للفصحى.

الكلمات المفتاحية: لهجة تميم، لهجة قريش، لهجة بكر، الصوامت، الصوائت، الإمالة.

Summary:

The modern Arabic dialects, including the Algerian women as branches that came out of the original language is the Arabic language, however it carries within it the dialectal differences, that it is different from one dialect to another, What appears in certain levels, it seems that in this investigation aims to discover sound changes that afflict the words of the tone of Oued Souf, following the interaction of votes with the other, when it appears On these votes attributes and characteristics inside the facility may not appear in its unique case, and these cuts were composed in a number of phenomena, but we are focused on one single phenomenon was the substitution either in Consonants or vowels. From the above, we have followed the descriptive approach that suits the nature of this subject, trying to follow it in some ancient Arabic dialects in order to understand the extent of the impact that is left by these dialects in the tone of This region today. By considering it as the closest Algerian dialects to the original Arabic language.

Keywords: Tamim accent, Quraish dialect, Bakr tone consonants, vowels, inclinaison

أولاً- مفاهيم أولية:

1- تعريف الإبدال:

يعد الإبدال من الظواهر الصوتية التي امتازت بها اللغة العربية وخاصة لهجاتها، فقد عُرف هذا المصطلح عند بعض اللغويين والنحاة كظاهرة لغوية من خلال مؤلفاتهم المختلفة، أمّا عند المحدثين فعرف بمصطلح المماثلة أو الانسجام الصوتي.

إن مفهوم الإبدال حسبما جاء في معجم الفيروزبادي هو: «أبدله منه وبدّله اتخذه منه بدلاً»<sup>(1)</sup>، أمّا بالمفهوم الاصطلاحي هو أن: «يقام حرف مقام حرف، إمّا ضرورة، وإمّا استحساناً»<sup>(2)</sup>. ومنه يتضح بأنّ مفهوم الإبدال قد جاء متفق المعنى سواء بمفهومه اللغوي والاصطلاح.

والإبدال كظاهرة قد عرفه العرب منذ القدم وذلك من أجل التسهيل والتخفيف أثناء النطق، ولذا «كان من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ويقولون: مَدَحَهُ وَمَدَّهَهُ»<sup>(3)</sup>. فالإبدال هو إبدال حرف مكان حرف آخر دون تغيير في المعنى. وعليه قد يؤدي هذا الأخير إلى التنوع والتوسيع في الألفاظ والمعاني حيث يكسب اللغة ثراءً معجمياً لا بأس به. وللإبدال نوعان وهما:

أ)- الإبدال الصرّي أو القياسي:

هو إبدال مطرد عند جميع العرب، فإذا استوفى شروطه وجب تنفيذه، إذن هو ما يحدث في الكلمة نتيجة صياغة كلمة أخرى مثل: (قام- قَوَمَ) (اصتبر- اصطبر)، ومنه فالصرّفيون اختلفوا في عدد الأصوات المبدلة، فهناك من جمعها في «طال يوم أنجذته»<sup>(4)</sup>.

ب)- الإبدال اللغوي أو السماعي:

الإبدال اللغوي لا يخضع لشروط خاصة، وإنّما يختلف باختلاف القبائل، وعليه لا يوجد ضابط لتلك الحروف سوى أنّها تكون متقاربة في المخرج أم الصّفة أم معاً. وهذا النوع من الإبدال هو الذي يهمننا حتى نتعرف على مدى تأثر وتقارب لهجة وادي سوف مع بعض اللهجات العربية القديمة.

2- اللهجة:

قد حدد تعريف اللهجة الاصطلاحي عند بعض المهتمين بها بأنّها «مجموعة من الصّفات اللغوية تنتهي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة»<sup>(5)</sup>. ومنه فاللهجة هي اللغة التي تتفق عليها جماعة من النّاس ليتكلموا بها فيما بينهم، وتكون لها صفات خاصة - من الناحية الصوتية أو الصّرفية أو النحوية أو الدلالية- تميّزها عن غيرها من اللهجات الأخرى.

3- اللهجات العربية القديمة:

كما هو معروف فإنّ اللغة العربية الفصحى تتفرع عنها العديد من اللهجات المختلفة، ومن بينها اللهجات العربية القديمة التي عرفها بعض الباحثين على أنّها تلك «اللهجات التي نقل إلينا طرف منها في كتب اللغة والأدب والتاريخ الممثلة في شعرهم، ورجزهم، ونثرهم، والتي كانت ذات صفات خاصة تتميز بها القبائل العربية قبل ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الاحتجاج»<sup>(6)</sup>. ومن بين تلك اللهجات، لهجة قريش وتميم وأسد وقيس وبكر...إلخ.

### ثانيا- الإبدال في الصوامت:

إن المتتبع للهجة وادي سوف يجد أن الإبدال قد حدث تقريبا في جميع أصواتها بداية بصوت الباء الذي قد أبدل أحيانا ميما مثل لفظة الأصِنَّام، ولكن نطقت عند بعضهم في لهجة المنطقة لُصِنَّابُ، حيث تم إبدال صوت الميم بـاءً مع حذف صوت الهمزة، وهذا بسبب اتفاقهما في المخرج ذاته، لأن مخرج صوت الباء ومخرج صوت الميم، ذو مخرج واحد وهو شفوي.

ويعودتنا للهجات العربية القديمة نجد أنّهم كانوا يبدلون الباء ميما والعكس، وقد نسب ذلك إلى لهجة مازن بن ربيعة وإلى بكر بن وائل وهي من قبائل ربيعة كذلك، ومنه فالعرب تقول: ليس هذا بضربة لازم ولازب، حيث يقول الشاعر النابغة الذبياني:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده \*\*\*\* ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب.

ومنه فإنّ بني بكر نطقوها بصوت الميم لازم بدل صوت الباء<sup>(7)</sup>، وفي لهجة منطقة وادي سوف عينة الدراسة لفظوها بصوت الميم أيضا، وبهذا يتضح بأنّ لهجة المنطقة قد تأثرت بإحدى اللهجات العربية القديمة وهي لهجة بني بكر في إبدال الباء ميما. ومن بين اللهجات العربية القديمة التي أبدلت الميم بـاء عكس لهجة المنطقة ولهجة بني بكر نذكر لهجة بني طيء ومن أمثلة ذلك: حبلت - حملت. وهناك من نسب هذا الإبدال إلى لهجة بني أسد، وآخرون إلى لهجة بني عامر، كما نسبها بعضهم لأهل اليمن<sup>(8)</sup>، وهكذا لم يحدد بالضبط لأي لهجة نسبت هذه الظاهرة إبدال الميم بـاء.

وفي الأخير يمكن قلب الميم بـاء عند البدو من العرب وذلك بسبب اتساع المكان لأنّه صحراوي، وكذلك جفاف المناخ، فكل هذه العوامل تؤثر على مخارجهم الصوتية أثناء النطق، وبالتالي يكون نطقهم للأصوات فيه نوع من الشدة، كما نجد أهل الحضر ونقصد بهم أهل المدن أنّهم يقلبون الباء ميما ويعود هذا أيضا لعدة عوامل منها رطوبة المناخ وغيرها، وعليه تنطق أصواتهم بنوع من الرخاوة. وبهذا نصنف أهل منطقة عينة الدراسة من أهل البدو في ظاهرة إبدالهم لصوت الباء ميما.

ومن التأثيرات التي حدثت في لهجة المنطقة عينة الدراسة نذكر إبدال الثاء فاءً، حيث نجد بعض اللهجات العربية الحديثة قد تخلت عن صوت الثاء، وذلك لأن نطقه يحتاج لبذل جهد عضلي، ومن ثم فقد نطقوه صوتاً آخرًا متمثلاً في صوت التاء. ويعدّ صوت الثاء من الأصوات الثقيلة على أعضاء النطق في كثير من البلاد العربية، ومن بينها الجزائر، وذلك في بعض ولاياتها مثل: جيجل وتقرت وتمنراست ووهران. بينما في بعض اللهجات العربية الأخرى قد تمسكت بنطقها لهذا الصوت -الثاء- منها لهجة صنعاء باليمن، ولهجة بدو ساحل مريبوط بمصر. أمّا في لهجة المنطقة فقد نطق هذا الصوت نطقاً صحيحاً، لكن في حالة واحدة ونادرة، حيث أبدل صوت الثاء إلى فاء فيقولون مثلاً: فَمَ بدل ثَمَّ.

← ويعود سبب هذا الإبدال لأنّ الصوتان تباعدا مخرجاً، (الفاء شفوي والثاء أسناني). وبهذا نؤكد على أن سكان المنطقة من العرب الأفحاح من قيس عيلان، أي ذوي جذور عدنانية من شبه الجزيرة العربية، وبالتالي فالأمر طبيعي أن تتأثر هذه اللهجة باعتبارها من لهجة اليوم باللهجات العربية القديمة لأنها منحدرة منها، كما تأثرت هذه اللهجة بالقرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿مَنْ بَقَلَهَا وَقَثَّهَا وَفُومِيَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا﴾<sup>(9)</sup>.

ومنه نجد أن لفظة فُومِيَا التي وردت في القرآن الكريم يقصد بها ثومِيَا. وقد نطقت هذه اللفظة في منطقة وادي سوف بالثاء وليس بالفاء، ولكن إن المتتبع لصوت الثاء يجده ليس مبدلاً عن الفاء لأنها هي الأصل. وهذا ما أكدته «ابن جني فهو يري بأنّ الفاء أصلاً وليست مبدلة عن الثاء»<sup>(10)</sup>، وهذا دليل على أن لهجة وادي سوف بقيت محافظة على نطقها لصوت الفاء الأصلي في اللفظة السابقة الذكر.

كما أكد بعض الباحثين بأنّ قضية إبدال صوت الثاء فاء موجودة منذ القدم في لهجات العربية القديمة، من ذلك نذكر: العثة (حشرة) - العفة - الثناء (الشكر) - الفناء<sup>(11)</sup>، وأيضاً وجد هذا الإبدال في بعض اللهجات العربية الحديثة، ولكننا نرى بأنّ الفاء أصلية بدليل وجودها في القرآن الكريم.

وصفوة القول أن القبائل البدوية تميل في نطقها إلى صوت الثاء مثل قبيلة أسد وطيء، في حين تميل القبائل

الحضرية إلى صوت الفاء مثل قبيلة بني سليم<sup>(12)</sup>، وعليه نجد أن لهجة المنطقة قد تأثرت بهذا الإبدال لأن أصول بعض قبائلها تنحدر من قبيلة بني سليم.

ومن آثار ظاهرة الإبدال التي تركتها لهجاتنا العربية القديمة في لهجة وادي سوف هو إبدال صوت الصاد زايا أوسينا في بعض الأحيان، ومما يقولون نذكر: وَأَشْبِيهِ جَائِي عَتِي زَادِمٌ، حيث وقع إبدال في لفظة صَادِمٌ، فأبدل صوت الصاد إلى صوت الزاي فنطقت في لهجة المنطقة زَادِمٌ. والسبب الصوتي في هذا

الإبدال هو أن الصاد والزاي من المخرج نفسه إلا أنهما اختلفا في الصفة، فالزاي صوت مجهور والصاد صوت مطبق. كما أبدال الصاد سينا والعكس فمثاله:

الصِّفْر ← نطقت بالصِّفْرِ.  
 يتم الإبدال خاصة عندما ينطق صوت السين مفخما.  
 سَارِق ← نطقت صَارِقًا.

وبعوتنا إلى مورثنا اللهجي نجد علماؤنا قد درسوا الفروق اللهجية التي تقع في صورة إبدال الصوامت منذ القدم، وقالوا إن التلقظ بالصاد- هي لغة قريش- أما التلقظ بالسين- هي لغة تميم- أو بعضهم. مثلا: لهجة قريش تقول: صراط بالصاد، وبعض من تميم فتقول: سراط بالسين، ونجد أيضا «قبيلة بلعنبر وهي من تميم تبدل الصاد من السين في أربعة أحرف، وهي الطاء والقاف والغين والخاء، إذا وقعن بعد السين»<sup>(13)</sup> فيقولون:

سرق ← سرقت.  
 مسغبة ← مصغبة.  
 سخر ← صخر.

كما حدثت ظاهرة الإبدال هذه في لهجة وادي سوف وخاصة عند فئة المستن، حيث ينطقون الصاد سينا والعكس، والذين يجيدون نطقه الصحيح هم الفئة المثقفة، وهذا نثبت بأن أصحاب هذه اللهجة قد تأثروا ببعض اللهجات العربية القديمة في إبدالهم لهذين الصوتين. وإن الإبدال بين هذين الصوتين في اللهجات العربية هو شيء عادي، وذلك لأن الصاد والسين من المخرج نفسه، رغم اختلافهما في الصفة إلا أنهما يشتركان في صفة الصّفير والهمس. أما عن صوتي السين والصاد وقضية إبدالهما زايا، فنجد من بين اللهجات العربية القديمة التي تفعل ذلك لهجة كلب، حيث يقلبون السين والصاد زايا خاصة مع القاف فيقولون:

صدق ← زدق.  
 بمصيطر ← بمزيطر<sup>(14)</sup>.

وعليه فالإبدال بين الصاد والسين والزاي موجود تقريبا في لهجة المنطقة فهو يطابق إلى حد بعيد بعض اللهجات العربية القديمة، وهذا يؤكد على أن أصحاب المنطقة قد استعملوا في طريقة نطقهم أصواتا عربية واضحة منحدره من تلك اللهجات العربية القديمة.

ومما تأثرت به لهجة المنطقة كغيرها من بعض اللهجات العربية اليوم هو إبدال صوت الضاد ظاءً مثل: قبض نطقت في اللهجة المنطقة بالظاء قَبِظْ، وأيضا في لفظة الحليب يَفِيز تم نطقها في لهجة المنطقة بالظاء إِفِيزْ. ونتيجة هذا الإبدال هو أن نطق صوت الضاد قريبا جدًا من صوت الظاء، لأنهما متقاربان في المخرج فالضاد أسناني لثوي والظاء لثوي ومتفقان في صفتي الجهر والإطباق.

ومنه فإن ظاهرة إبدال صوت الضاد ظاءً موجودة في بعض اللهجات الجزائرية والعربية كلهجة صنعاء باليمن، «فالعرب القدامى قد أجازوا في كلامهم أن يعقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه»<sup>(15)</sup>. فالضاد صوت قد اختلف القبائل العربية في طريقة نطقه، فهناك من يبدل الضاد من الظاء مثل لفظة التي ذكرتها في لهجة المنطقة تماما فاضت وفاظت. فنجد من ذلك «قبائل تميم وضبة وهما من عرب الشمال، وكلب وقضاة وهما من عرب الجنوب، يبدلون الضاد من الظاء أما قبائل قيس وأهل الحجاز وهما من عرب الشمال وطيء من عرب الجنوب يفضلون نطقها بالضاد»<sup>(16)</sup>، ومنه فإن أصحاب عينة الدراسة قد نطقوا هذا الصوت في بعض المناطق بالضاد وفي مناطق أخرى بالظاء، وبهذا نلاحظ مدى تأثر أصحاب المنطقة باللهجات العربية القديمة في نطقهم وكان ذلك واضح من خلال إبدالهم لهذا الصوت بالضاد.

لقد تعددت التأثيرات الصوتية -الإبدال في الصوامت- في لهجة المنطقة فمنها إبدال صوت النون ميما أو لاما والعكس عند بعض الجهات ومما يقولون في إبدالهم النون ميما نذكر:

مِمْبَعِدُ ← مِن بَعْدُ.

جَبْبِي ← جَبْنِي.

ومن أمثلة إبدال النون لاما والعكس نذكر:

فِنَجَالُ ← بَدَلُ فَنَجَانُ.

إِسْمَاعِيلُ ← بَدَلُ إِسْمَاعِيلِ.

ومما نريد التأكيد عليه أن اسم إسماعيل قد ورد باللام في القرآن الكريم برواية ورش، إذ يقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(17)</sup>، كما قرأ اسم إسماعيل أيضا عند بعض القراء بالنون.

وبعودتنا للهجات العربية القديمة لمعرفة مدى الأثر الذي تركته في لهجة المنطقة عينة الدراسة نجد أن من بين القبائل العربية التي جعلت اللام نونا في أقوالهم «لهجة بني سعد ولهجة كلب»<sup>(18)</sup>، وأيضاً «لهجة صنعاء باليمن»<sup>(19)</sup>. كما ظهرت هذه الظاهرة عند أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري حيث يقولون: حلزوم بدلا من حلزون؛ أي إبدال النون ميما، ونجدها أيضا عند أهل تميم فهم يقولون: إسرائيل بالنون بدل إسرائيل باللام<sup>(20)</sup>. وبهذا نجد أن لهجة منطقة وادي سوف قد انتهجت نهج اللهجات العربية القديمة في إبدالها لنون والميم واللام.

وعليه فإن سبب هذا الإبدال هو أن اللام جانبي، أما التّون صوت أنفي، وقد حاول الصّوت الأنفي التّون أن يغير اتجاه مجراه من الأنف نحو الفم في لفظة في النماذج المدرجة، لينطق الصّوت الذي يناظره في ذلك اللام، وقد يحدث العكس.

كما عرف عن لهجة منطقة وادي سوف إبدالها لصوت الشّين سيئاً والعكس، وهذا التّوع من الإبدال تقريبا نجده

عند فئة كبار السن وغير المتعلمين، لأنهم يجدون صعوبة في نطق هذين الصّوتين، وبالتالي يلجئون للتسهيل بإبداله ومما يقولون نذكر:

السّمش ← السّمس.

السجاعة ← الشجاعة.

سَخْصِي ← شَخْصِي.

سُجْرَه ← شجرة.

وبعد إدراجنا لهذين النموذجين نثبت أنّ الشّين يبدل في لهجة وادي سوف سيئا، وبهذا يمكن القول بأنّ لهجة المنطقة قد تأثرت باللهجات العربية القديمة لماذا؟ لأن العرب اعتادوا الإبدال بين صوتي الشّين والسين في لهجاتهم منذ القدم فيقولون: «السّده - السّده»<sup>(21)</sup>. وإنّ هذا التّوع من الإبدال قد كثر في أشعارهم ومن ذلك يقول الشاعر ذو الرمة:

أَغْبَاشُ لَيْلٍ تَمَامٍ كَانَ طَارِقَهُ \*\*\*\* تَطْخُطُحُ الْغَيْمِ حَتَّى مَالَهُ جُوبٌ<sup>(22)</sup>.

ذكرت لفظة «أغباش» (الظلام) عندهم بالشّين وعند آخرين قد نطقت «أغباش» بالسين، كما تحدث "سيبويه" عن ذلك حيث قال: «فأبدلوا من الشّين نحوها في الهمس والانسلال»<sup>(23)</sup>، ويعني به صوت السين. هذا عن ظاهرة الشّين والسين عند العرب.

والتبرير الصوتي لهذا الإبدال هو أن السين والشين يختلفان في المخرج فالسين أسنانية لثوية والشين شجرية، ويتفقان في صفة الهمس والترقيق، وعليه فإن الناطق بهذه اللهجة يلجأ إلى هذا الإبدال من أجل التسهيل والتخفيف وخاصة عند النطق بصوت السين لأن مجراه أضيّق من مجرى صوت الشين، وعليه يكون النطق بصوت السين أسهل وأيسر من صوت الشين.

وإن الباحث المتتبع لأثر ظاهرة الإبدال بين صوامت في لهجة وادي سوف وربطها باللهجات العربية القديمة يتطلب منه بعض التركيز والدقة، لأن هذه الظاهرة تظهر إلا من خلال النطق، ثم يحاول ربطها بما ذكر في بعض المراجع التي أدرجت تلك اللهجات القديمة ليتتبع مدى الأثر الموجود في اللهجة المنطقة. ومن أبرز ظواهر الإبدال الموجودة في المنطقة ظاهرة إبدال صوت القاف غينا أو كافا مجهورة (G)، وهذا عند بعض القبائل فقط، ومن ذلك نذكر:

أقرأ القرآن ← نطقت نَعْرًا الْعُرَانُ.  
عبد القادر وقويدر ← نطقت غَادَهُ وَغَوِيدِرُ.  
تم إبدال القاف غينا عندما نطقت مفخمة.

من خلال هذين النموذجين نلاحظ بأن صوت القاف عند بعض القبائل الموجودة في منطقة وادي سوف تنطقه غينا كقبيلة الرُّبَايع. كما أنّ هذه الظاهرة موجودة في بعض اللهجات العربية، كلهجة السودان التي تنطق صوت القاف غينًا، وقد رجح العلماء بأن نطقه بهذه الطريقة يكاد يكون الأقرب لما نطقه العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية. وهذا يدل على مدى التقارب الشديد بين لهجة وادي سوف ولهجة السودان في نطقها لهذا الصوت- القاف غينا-، ولكن عندما عدنا للأسباب التي جعلت هذا التشابه موجودا بينهما في إبدال هذا الصوت، رجحنا ذلك لاحتمالين وهما:

أولاً- يمكن أن نرجح عدم وجود علاقة تأثير بينهما، وخاصة أنّ أصول سكان هذه المنطقة تنحدر من شبه الجزيرة العربية، ومنه فالعرب كانت تبدل هذين الصوتين ومما قالوا: «قَلْغَلِ الْأَرْضَ يُغْلِغُلُ»<sup>(24)</sup>.

ثانياً- إنّ السكان الوافدين على هذه المنطقة في عهد الفنيقيين كان لهم علاقة تجارية تربطهم مع السودان عن طريق ورجلان - اسم ورقلة سابقا- وهذا ما جعل هذه المنطقة محطة عبور، وربما هذا الأمر أدى إلى وجود احتكاك بينهما وبالتالي تأثر أحدهما بالآخر.

هذا عن إبدال القاف غينا أما إبدال القاف كافا مجهورة، فيمكن القول بأن أصحاب المنطقة كانوا يبدلونه دون أن ينتبهوا إلى ذلك، ومما ذكر على ألسنتهم:

الفط ← القط.

فول ← قول.

وبعودتنا لتراث اللهجي العربي القديم؛ أي حاولنا أن نبحث عن أثر إبدال صوت القاف إلى كافا مجهورة في اللهجات العربية القديمة، فلم نعثر على هذا الإبدال، بل وجدناهم يبدلون هذا الصوت إلى صوت الكاف مثل: قشطت - كشطت، ومن القبائل التي تفعل ذلك، هي قبيلة قريش وكذلك تميم وأسد وقيس<sup>(25)</sup>.

وفي الأخير نرجع على السبب الصوتي الذي جعل هذا الإبدال يحدث بين هذين الصوتين هو أنّهما قريبان من المخرج فالقاف لهوي والغين طبقي، أمّا الصّفة فهما يختلفان فالقاف مهموس والغين مجهور، أمّا بالنسبة للقاف والقاف فقد تم إبدالهما لأنهما من المخرج ذاته والصفة، فالناطق السوفي عندما ينطق صوت القاف مفخما فإنّه مباشرة يبدله كافا مجهورة.

### ثالثا- الإبدال في الصوائت:

إن الإبدال بين الصوائت هو ظاهرة عربية قديمة موجودة في العديد من لهجاتها، وقد حاولنا أن نركز في مقالتنا هذه على ظاهرة معينة تميزها أصحاب المنطقة في كلامهم من خلال الصوائت، وهي ظاهرة الإمالة والتي تعد ظاهرة صوتية ووسيلة من وسائل تسهيل النطق وبذل مجهود أقل، فالغرض منها في الأغلب هو تحقيق الانسجام الصوتي.

فالإمالة: بتعريفها البسيط هو « أن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا»<sup>(26)</sup>، والهدف من ذلك هو تحقق التناسب الصوتي. ولمعرفة مدى الأثر الذي تركته اللهجات العربية القديمة من حيث الإمالة في لهجة وادي سوف بأنواعها ودرجاتها المتفاوتة من منطقة إلى أخرى نذكر مايلي:

### أ)- إمالة الألف نحو الياء:

يقال في لهجة المنطقة ضَرَبْنِي وَيَكِي وَسَبَقْنِي وَشَكِي، من خلال هذا المثل الشعبي، يتضح بأنّ الإمالة قد وقعت في فعلي يَكِي وَشَكَا، حيث نطقا ممالان، فقد جاء أَلَف الفعل الأول منقلبة عن الياء، أمّا أَلَف الفعل الثاني منقلبة عن صوت الواو.

ومما قيل في لهجة ممالا: مِشِي مَشْرَفُ، يتضح من خلال هذا الفعل المتمثل في مِشِي أنّه نطق ممالا وهذا لأنّ الألف منقلبة على الياء والتي كانت مسبوقة بكسرة الميم، وقد نطقت هذه الإمالة شديدة بحيث كانت قريبة جدا من الياء، وينطق هذا النوع خاصة عند أهل البدو. أمّا عن إمالة الأسماء نذكر:

الكراء	←	لِكْرَى.
الماء	←	الْمَي.
الدواء	←	الدَوَى.
العشاء	←	العَشَى.

ومن خلال هذه النماذج المدرجة أمامنا حول إمالة الأسماء يتضح بأنه تم إمالة الألف إمالة شديدة نحو الياء، بحيث تكون مسبوقة بالكسرة.

ومن الأثر الذي تركته اللهجات العربية القديمة في لهجة المنطقة نذكر قد سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: «يا يحيى فقيل له يا رسول الله تميل وليس هي من لغة قريش، فقال هي لغة الأخوال بني سعد»<sup>(27)</sup> وبنو سعد هم حضنة الرسول(ص) وينتهي نسبهم إلى قيس وهذه القبيلة من القبائل الممالة. وهذا دليل على أن لهجة المنطقة أصولها منحدره من قبيلة قيس عيلان.

#### (ب)- إمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة:

وكما تتبعنا الإمالة لها أنواع ومن بينها التّوع الأول المتمثل في إمالة الألف نحو الياء، ومن الأنواع الأخرى التي تداولتها لهجة المنطقة هي إمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة والتي «تظهر عندما تأتي الياء ساكنة بعد الفتحة»<sup>(28)</sup> وعرف هذا النوع من الإمالة عند «أهل الحجاز كانوا يميلون إلى الفتح، في حين أن قبائل قيس وتميم وأسد تميل إلى الكسر»<sup>(29)</sup>، هذا عن القبائل العربية القديمة.

أمّا عن لهجة وادي سوف فإنّ المتتبع أو المستمع لها يجدها دائماً سبّاقة في إبدال الصوائت وكأَنَّها ميزة خاصة بهم، فتجدهم يبدلون الفتحة إلى الكسرة، ومما يقولون على ألسنتهم نذكر مثلاً:

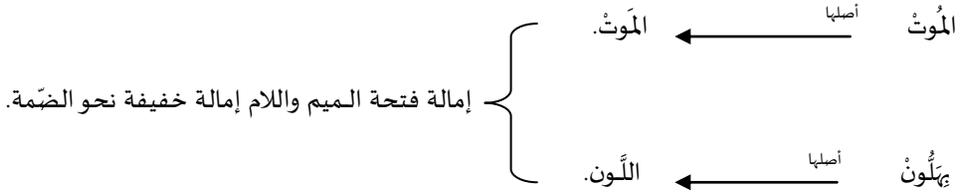
فِتْلُ	←	فَتْلَ.
رَقْصُ	←	رَقَصَ.
عَيْنُ	←	عَيْنَ.

ومن خلال هذه النماذج المدرجة أمامنا يتضح بأنّ هذه الألفاظ قد نطقت بالكسر وكان من المفروض

أن ينطقوها بالفتح، وبهذا نجد أهل المنطقة قد انتهجوا في بعض إبدالهم للصوائت للهِجَة قيس وتميم وأسد.

ج)- إمالة الفتحة القصيرة إلى الضمة في الأسماء:

إن تتبع الإمالة بشتى أنواعها وخاصة في لهجة وادي سوف، ومحاولة كشف الأثر الذي خلفته اللهجات العربية القديمة فيها جعلنا نستمع إلى العديد من الأمثال والحكم الشعبية، حتى نزيل الستار على هذا النوع من الإمالة - إمالة الفتحة القصيرة إلى الضمة- الذي يحدث عندما تتلو الفتحة الشديدة الواو الساكنة<sup>(30)</sup>، حيث نجد أصحاب المنطقة يميلون دون أن يشعرون ولا يكتشف هذه الظاهرة إلا الباحث المتخصص في هذا المجال ومن أمثلة هذا النوع من الإمالة نذكر:



ويتضح من خلال هذا النموذج الأخير بأنه أميل اسم اللون إمالة خفيفة من الفتحة نحو الضمة المتلوة بواو ساكنة، لينطق في اللهجة اللون. وعليه حاول أهل المنطقة أن يُميلوا بعض ألفاظهم وذلك من أجل البحث عن الانسجام الصوتي، وبهذا الإمالة تؤدي دوراً هاماً في اللهجة المنطقة واللهجات العربية المختلفة.

وبعد أن أدرجنا بعض التماذج المأخوذة من لهجة المنطقة حول ظاهرة الإمالة موضحين نوعها مع درجتها، نجد أنها طاغية في هذه اللهجة بشكل كبير مقارنة مع الظواهر الصوتية أخرى، وخاصة إمالة الألف نحو الياء، فهذا النوع من الإمالة تقريبا موجود في كل مناطق وادي سوف، بينما ظاهرة الفتحة القصيرة الممالة نحو الكسرة أو الضمة فهذا النوع مختلف من منطقة إلى أخرى.

ولكن بعودتنا إلى جذورنا العربية بشكل وجيز لمعرفة تواجد هذه الظاهرة في القديم، فوجدنا بأن القراء العشرة قد أمالوا إلا "ابن كثير"، فإنه لم يُمل ومن القراء الذين اشتهروا بالإمالة أكثر من غيرهم، هم "أبو عمرو" و"حمزة" و"الكسائي"<sup>(31)</sup>، وإن المتتبع للألفاظ المنطوقة اليوم في لهجة منطقة وادي سوف حتما سوف يلتبس تلك الإمالة الموجودة عند بعض القراء، وبهذا نوضح مدى الأثر الذي خلفته تلك القراءات المختلفة في لهجة المنطقة. أما فيما يخص اللهجات التي ظهرت في بعض ألفاظها هذه الظاهرة، نذكر لهجة تميم وأسد وقيس وبكر بن

وائل، وسعد بن بكر، أما أهل الحجاز فكانوا يذهبون إلى الفتح<sup>(32)</sup>.

وبهذا فإن أصحاب المنطقة عينة الدراسة قد أمالوا في لهجتهم وفق ما نصت عليه قواعد الإمالة في اللغة العربية الفصحى، رغم وجود بعض الألفاظ التي خالفت تلك القواعد، فهم أمالوا كما أمال القراء والنحاة واللغويون وأيضا كما أمالت بعض اللهجات العربية الأخرى مثل اللهجة السورية كأن يقولوا:

مَعْرَكَة ← مَعْرِكِي.

مدرسة ← مدرسي.

وصفوة القول نرى أن اللهجات العربية القديمة كان لها أثر كبير على لهجة منطقة الوادي سوف، وخاصة عندما تتبعنا الأصول السكانية للمنطقة، حيث وجدنا أصولهم تنحدر من شبه الجزيرة العربية، وبالتالي من الطبيعي أن يتوارث أبناء المنطقة لهجتهم الأم، ويكون أثرها واضح من خلال العديد من الظواهر الصوتية مثل الإبدال في الصوامت والصوائت ويظهر ذلك من خلال ألفاظهم المنطوقة في لهجة المنطقة اليوم.

### الإحالات:

- 1- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 2005م، مادة: "ب د ل".
- 2- أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1443هـ-1993م، ص: 69.
- 3- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصحاحي في فقه اللّغة العربيّة ومسانئها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسبيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997م، ص: 154.
- 4- ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصّوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، ط1، 1428هـ-2007م، ص: 14.
- 5- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 2002م، ص: 15.
- 6- محمد سالم محين: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1976م، دط، ص: 8.
- 7- ينظر: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي: كتاب الإبدال، (دون دار نشر)، دمشق، سوريا، دط، 1379هـ-1960م، ج1، ص: 50.
- 8- حسام الهنساوي: العربية الفصحى ولهجاتها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص: 141.
- 9- سورة البقرة: الآية 61.
- 10- أحمد علام الدّين الجندي: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، دط، 1983م، ج1، ص: 417، 418.
- 11- ينظر: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي: كتاب الإبدال، ج1، ص: 184.
- 12- ينظر: حسام الهنساوي: العربية الفصحى ولهجاتها، ص: 149.
- 13- سهام مادن: اللهجات العربية القديمة، كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 2011م، ص: 137.
- 14- عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص: 178.
- 15- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي: كتاب الإبدال، ج2، ص: 267.
- 16- سهام مادن: اللهجات العربية القديمة، ص: 141.

- 17- سورة إبراهيم: الآية 39.
- 18- أحمد علام الدّين الجندي: اللهجات العربية في التراث، ج2، ص: 441.
- 19- عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط 1، 1430 هـ-2009م، 521.
- 20- ينظر: حسام الهندساوي: العربية الفصحى ولهجاتها، ص: 179، 180.
- 21- أبو الفتوح عثمان بن جني: سرّ صناعة الإعراب، ص: 199.
- 22- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي: كتاب الإبدال، ج2، ص: 155.
- 23- أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1402 هـ-1982م، ج4، ص: 306.
- 24- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي: كتاب الإبدال، ج2، ص: 329.
- 25- سهام مادن: اللهجات العربية القديمة، ص: 150.
- 26- غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، منشورات مكتبة إقراء، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م، ص: 94.
- 27- أحمد علام الدّين الجندي: اللهجات العربية في التراث، ج1، ص: 284.
- 28- ثريا التجاني: دراسة إجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري وادي سوف نموذجا ، دار هومه، الجزائر، دط، دت، ص: 76.
- 29- محمد محمد داود: الصّوائت والمعنى في العربية، دارغريب، القاهرة، مصر، دط، 2001م، ص: 32.
- 30- ينظر: عبد العزيز مطر: لهجة البدو في السّاحل الشّمالي لجمهورية مصر العربية، دار المعارف، مصر، دط، 1981م، ص: 69.
- 31- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، اعتنى وعلق عليه: مصطفى الشيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ-2008م، ص: 196.
- 32- عبده الراجعي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، مصر، دط، 1996م، ص: 140.